تعليم العلوم الانسانية في فلسطين المحتلة : الدكتور احمد طربين

ان الارتباط العضوي بين اهداف المجتمع الاسرائيلي وحاجاته وبين اهداف التعليم الاسرائيلي يظهر بوضوح تام ، نظرا لطبيعة دولة اسرائيل التي قامت على اساس اجتذاب يهود العالم من مواطنهم الاصلية وحشدهم في فلسطين على صعيد واحد . وتبرز عملية التربية والتعليم كأهم وسيلة لتحقيق اهداف رئيسية ثلاثة : ١ ــ بناء مجتمع يهودي موحد يتألف من الجماعات اليهودية التي تجمعت على ارض فلسطين . ٢ ــ بناء دولة عصرية ذات قوة مادية ومعنوية . ٣ ــ حماية التراث اليهودي ونشره وتعميق الشعور به بين الناشئة اليهود في اسرائيل، كيما تصبح واسطة العقد ومركز الاتصال بين يهود العالم ، ولتصبح المعبرة الاولى عن قيم الشعب اليهودي ومنجزاته .

ويعتبر الهدف الاول هو الهدف الاهم الذي لا يتحقق الهدفان الاخران بدونه . فقد أورد القانون الرسمي للتعليم الذي صدر عام ١٩٥٣ ، اهداف التعليم على النحو التالي :

« ارساء الاسس التربوية على قيم الثقافة اليهودية ومنجزات العلم وعلى محبة الوطن والولاء للدولة وللشعب اليهودي ، وعلى ممارسة الاعمال الزراعية والحرفية ، وعلى التهيئة لوجود رائد، والعمل على تشييد مجتمع تسوده مبادىء الحرية والمساواة والتسامح والتعاون ومحبة الجنس البشري »(١). وفي عام ١٩٥٩ اورد البيان الوزاري تفسيرا لعبارة (قيم الثقافة اليهودية) بقوله : « ستسعى الحكومة في المدرسة الابتدائية كما في المدرسة الثانوية والدراسات العالية ، الى تعميق الوعي اليهودي بين شبان اسرائيل ، وعلى ترسيخ جذورهم في ماضي الشعب اليهودي ، وفي تراثهم التاريخي وعلى تقوية العلاقات الاخلاقية التي تربط بين هؤلاء الشبان ، وبين اليهود في العالم ــ هذه العلاقات التي تنمو في وعي المصير المشترك وفي الاستمرار التاريخي الذي يوحد بين يهود العالم جميعا عبر الحدود والازمنة »(٢).

ولسنا في معرض شرح التناقض الحتمي في مضمون هذا الهدف ، بين تكوين مجتمع يوحده تراث تاريخي ديني قديم ، وبين بناء دولة عصرية تعتمد لا على العقل والعلم وحدهما ، وانما على هذا التراث التاريخي الديني القديم بالذات . وهو تناقض بين المعطيات الفكرية والروحية يوجه سياسة الدولة والتعليم . وبين متطلبات العلم الحديث ومستلزمات بناء الدولة العصرية . ويظهر تارة في التصادم بين الصهاينة السياسيين من ناحية ، وبين المتشددين الارثوذكس المتدينين من ناحية اخرى ، وينعكس هذا التصادم على الصعيد التعليمي ، فيبرز الاتجاه الديني الذي تمثله الاحزاب المتدينة وعلى رأسها (المزراحي) ، والاتجاه العلماني الذي تمثله الاحزاب العمالية والاشتراكية ، ويقابلهما نظام للتعليم المدني ونظام للتعليم الديني. والصهيونية التي تستغل الدين لاجتذاب يهود العالم الى فلسطين كان لا بد ان تواجه الصدام المحتوم مع اليهود الشرقيين الذين يختلفون عن اليهود الغربيين حضاريا بحكم اتصال هؤلاء بالغرب الاوربي في حضارته وتاريخه . فاليهود الغربيون ، سواء كانوا صهاينة ام غير صهاينة ، كانوا يلتقون مع الصهيونية في ارتباطها بمصادر الحضارة الغربية التي تتجه الى العلم والعقل.ومن هنا برزت مشكلة عدم التجانس بين اليهود الغربيين (الاشكناز) وبين اليهود الشرقيين (السفارديم) ، مما حدا بالسلطات للعمل على (تغريب) اليهود الشرقيين عن طريق حفز مشاعر التعلق بالارض التي تجمع اليهود وتوحد آمالهم ، وخاصة اذا اقترن ذلك بالمبالغة في تعظيم أعمال الرواد الاوائل الذين اسهموا في تأسيس دولة اسرائيل ، وهم في كثرتهم من اليهود الغربيين الذين يروق لهم دائما ان يشبهوا منجزاتهم بمنجزات الرواد المكتشفين الامريكان في القارة الجديدة من حيث تفانيهم في حب العمل والتعاون والكشف والتقدم . على أن تنمية الروح العسكرية بين مختلف فئات المجتمع الاسرائيلي هي عامل مساعد على صهرها في بؤرة من التجارب والمشاعر المشتركة. ويتم ذلك بواسطة التدريب العسكري (الجدناع) المفروض على طلبة المدارس الثانوية . ويتم أيضا في طلائع الشبيبة المحاربة (ناحال) المرابطة في مستوطنات الحدود. هذا بالاضافة الى ان خريجي المدارس الثانوية لا يسمح لهم بدخول الجامعة الا بعد قيامهم بالخدمة العسكرية التي هي بحد ذاتها وسيلة اساسية من وسائل توحيد الثقافة والمشاعر ، مضافا اليها اللغة